



يُكمن حل الأزمة الأوكرانية جزئياً في سوريا؛ آن الأوان للرئيس الأمريكي باراك أوباما أن يبرز قدرته على إصدار أمر باستخدام القوة العدائية الهجومية في ظروف لا يحتاج فيها إلى الاستخدام السري للطائرات بدون طيار ولا إلى العمليات السرية. النتيجة سوف تغير الحساب الاستراتيجي في كل من سوريا وروسيا تاهيك عن بكين وطوكيو.

جادل الكثيرون بأن تنازل أوباما عن تهديده باستخدام الضربات الصاروخية ضد سوريا في أغسطس الماضي شجع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على ضم شبه جزيرة القرم. إلا أنه من المرجح قيام بوتين بذلك لأسباب داخلية – لصرف انتباه الروسيين عن الاقتصاد المتدهور للبلاد ومداواة مذلة مشاهدة المتظاهرين المؤيدين للأوروبيين يطيحون بالحكومة الأوكرانية التي أيدتها.

بغض النظر عن الدوافع الأولية لبوتين فهو يعمل في بيته يعرف جيداً أصول اللعب فيها. بوتين يزن قيمة تقطيع أوصال أوكرانيا إلى قطع أكثر من بعض القطع والتي هي إما أن تنظم إلى روسيا أو تصبح أحد الولايات التابعة لروسيا ضد الألم الناشئ عن عقوبات اقتصادية أكثر قوة وأكثر شمولية.

إن استخدام الغرب للقوة – والتي لن تزيد عن ارسال الأسلحة للجيش البائس الحظ نوعاً ما – ليس جزء من المعادلة. تلك هي المشكلة. ففي شأن القضية السورية فإن الولايات المتحدة القوى العسكرية العظمى والأكثر مرونة في العالم اختارت التفاوض وكلتا يديها مكباتين خلف ظهرها لأكثر من ثلاث سنوات. وهذا ليس أقل خطأ في الحالة الروسية في ظل وجود زعيم مثل بوتين الذي يقيس نفسه والقادة الزملاء بلغة الرجلة الخشنة.

آن الأوان لكي يغير بوتين من حساباته وسوريا هي المكان المناسب لإحداث هذا التغيير.

قوات بشار الأسد تمكنت من أن تكون لها الغلبة بواسطة استخدام قذائف الهاون التي تمزق ساحات المدينة، من خلال المجاعة وانخفاض درجة حرارة الجسم والآن البراميل المتفجرة التي تندف بالمسامير والشظايا بدون تمييز.

أصبحت الحكومة تدعي استردادها للأراضي التي استولى عليها الثوار ببطء ولكن بثبات.

وصف محللي مجلة "ريالست" في مجال السياسة الخارجية الأسد بالشر الأهون بالمقارنة مع أعضاء فصائل تنظيم القاعدة ممن هم في المعارضة، وآخرون يرون أنه من المفید ترك جميع الأطراف تتحارب وتتناحر بينها وبين لسنوات.

بالإضافة إلى أن الحكومة السورية بكل تأكيد تظهر بأنها تخلت عن أسلحتها الكيماوية كما هو متفق عليه منذ شهر سبتمبر الماضي.

المشكلة هي أن الأسد مازال يعتقد أن بإمكانه فعل أي شيء لشعبه ما عدا قتلهم بالسلاح الكيماوي، فهو سبب خصومه وينحر أي واحد يقع تحت قبضته ومعاقبة مجتمعات بأكملها مثلاً فعل والده حافظ الأسد الذي قام بمجازرة حماه في عام 1982 م.

لقد أظهر مراراً وتكراراً بأنه قطعة من نفس القماش الذي لا يرحم.

منذ بدء الصراع السوري بث الأسد المخاوف مما قد تفعله قوات المعارضة السنية للعلويين والدروز والمسيحيين وللأقليات الأخرى إذا كسبوا هذه المعركة.

ولسنا بحاجة للتken بسلوك الأسد. فقد رأينا ما يكفي.

إن ضربة واحدة تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية ضد الحكومة السورية في الوقت الراهن كفيلة بتغيير الديناميكية بأكملها.

إما أن تجبر نظام الحكم على العودة إلى طاولة المفاوضات بنية أصلية للتوصل إلى تسوية أو أنها على الأقل ستوضح بأن الأسد لن تكون له اليد المطلقة في إعادة تأسيس حكمه.

فمن المستحيل ضرب سوريا قانونياً طالما روسيا جاثمة على مجلس الأمن للأمم المتحدة مانحة حق النقض الفيتو ضد أي قرار يجيز استخدام القوة.

ولكن حتى روسيا وافقت على القرار الصادر في شهر فبراير القرار رقم 2139 الهادف إلى إجبار الحكومة السورية على زيادة تدفق المعونات الإنسانية للمدنيين الجوعى والجرحى.

ومن بين الأمور الأخرى طالب القرار 2139 بأن على جميع الأطراف الكف الفوري عن جميع الهجمات التي تشن ضد المدنيين فضلاً عن الاستخدام العشوائي للأسلحة في المناطق المأهولة بالسكان بما في ذلك عمليات القصف المدفعي والقصف الجوي كاستخدام البراميل المتفجرة...

بالتعاون مع العديد من الدول الأخرى تستطيع الولايات المتحدة استخدام القوة لتدمير الطائرات السورية ذات الأجنحة الثابتة باعتبارها الخطوة الأولى لتطبيق القرار 2139 بالقوة.

وعلى الأرجح فإن القصف الجوي سيستمر عبر استخدام طائرات الهيلوكوبتر، أما هذه الضربة ستعلن على الفور بأن اللعبة قد تغيرت. وبعدها بإمكان الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا الرجوع إلى مجلس الأمن للحصول على موافقة على العمل الذي تم، كما فعلوا عقب تدخل حلف الناتو في كوسوفو في العام 1999 م.

وبنفس القدر من الأهمية فإن للطلقات التي تطلقها الولايات المتحدة سيكون لها صداها العالى في روسيا.

والمفارقة العظمى هي أن بوتن يسعى تماماً إلى القيام بما قام به الأسد بنجاح، مصوراً المعارضة السياسية الشرعية على أنها عصابة من البلطجية والإرهابيين بينما يعتمد على الاستفزازات والأكاذيب لتحويل التظاهر السلمي إلى هجمات عنيفة مما يبرر بعد ذلك الرد باستخدام القوة العسكرية.

ونذكر خروج المعارضة السورية في مظاهرات سلمية تحت النيران لمدة ستة أشهر قبل التشكيل المبدئي للوحدات الأولى من الجيش الحر السوري.

أما في أوكرانيا فإن الرئيس بوتن سيكون سعيداً لتحويل إطاحة المعارضة السلمية بالحكومة الفاسدة إلى حرب أهلية. ومثلاً هي عادة القوى العظمى في تكرار قولها لمواطنيها لربما يعتقد بوتن بأن حلف الناتو لن يجاذف بإمكانية قيام حرب نووية عبر نشر جنوده في أوكرانيا. ربما لا. ولكن القوات الروسية التي تعمل على زعزعة الاستقرار في شرق أوكرانيا لا تحمل أي شارات. فالجنود العاملون بإمكانهم القتال على كلا الطرفين.

إن وضع القوة على الطاولة في حل الأزمة الأوكرانية، بما في ذلك استخدام القوة في سوريا، له أهمية خاصة لأن الضغط

الاقتصادي له أهمية حرجة فيما خص ردود فعلها على السندات التجارية الغربية وبإمكانه أن يخلق حواجز مضرة لبوتن. فعندما ينهار الروبل الروسي وينعدم الاستثمار الأجنبي، فإن الكثافة السكانية الروسية ستتصبح مضطربة وستعطي له أكثر من سبب لإلهائهم بالنظارات الوطنية مرحبيين بعودة المزيد من الروسيين إلى روسيا الأم.

إن هدف أويناما من مجئه للسلطة هو إنهاء الحرب وليس اشعالها. ولكن إذا تصدت الولايات المتحدة للرصاص بالكلمات فإن الطغاة سيكون لهم استنتاجاتهم الخاصة بهم. وكذلك سيظن الحلفاء كالبيابان على سبيل المثال إذ تتساءل كيف سترد الولايات المتحدة إذا اصطبعت الصين أزمة على جزر سيناكاوا المتنازع عليها.

ولكي تقود الولايات المتحدة بكفاءة وفعالية في كل المصالح المحلية والدولية يجب عليها اظهار جاهزيتها لتحمل المسؤوليات الكاملة لسلطتها.

إن القيام بتوجيهه ضربة لسوريا ربما لن ينهي الحرب الأهلية هناك ولكن يمكن أن يمنع انفجار أخرى جديدة في أوكرانيا.

الإسلام اليوم

المصادر: